# حرب عام ١٩٦٧ وتغيير معالم الشرق الاوسط

تحدثنا في الفصول السابقة عن الدور الذي لعبه الموساد الاسرائيلي في توجيه الضربة القاضية لسلاح الجو المصري وبداية حرب عام ١٩٦٧ وفي هذا الفصل اجد من الضروري استعراض الاوضاع الاسرائيلية الداخلية التي سبقت حرب الايام الستة كما يحلو للبعض تسميتها ، وما كان يجرى داخل الكيان الصهيوني من استعدادات ومناقشات ومخاوف واستعراض الاوضاع الاسرائيلية العسكرية والاقتصادية التي سبقت الحرب .

يقول المعلقون السياسيون والمحللون الاسرائيليون ان حرب الايام الستة كانت نتيجة حتمية لذروة الاحداث التي بدأت قبل عدة سنوات قبل عام ١٩٦٧ وبالتحديد من بداية عام ١٩٦٠ حيث ، كما ادعى الاسرائيليون ، ان حركة فتح التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية قد بدأت بمهاجمة اهداف عسكرية ومدنية في اسرائيل وعلى الرغم من انها لم تكن تعتبر الفلسطينيين قوة عدوانية . . فقد نشبت الحرب عام ١٩٦٧ فكانت جولة جديدة من الصراع بين العرب والصهاينة . . . الكثيرون من الفدائيين الفلسطينيين كانوا يتسللون الى داخل اسرائيل من الاراضي السورية مما ادى الى ازدياد الاحتكاكات على حدود الكيان الصهيوني الشمالية . . في السابع من نيسان /ابريل ١٩٦٧ اشتبك الطيران الحربي الاسرائيلي مع تشكيل من القوات الجوية السورية وكان ذلك ردا على التسلل الى اسرائيل من الاراضي السورية كما تدعى اسرائيل مما ادى الى اسقاط ست طائرات سورية ، وصدرت على إثر ذلك تحذيرات وتهديدات لاسرائيل قبل ما يسمى يوم الاستقلال . . وفي شهر ايار /مايو من ذات العام كان الانطباع السائد بأن اسرائيل كانت تقترب من مهاجمة سوريا التي ترتبط مع مصر باتفاق دفاع مشترك . . . في منتصف شهر مايو/ايار قرر المصريون التدخل لصالح سوريا وبدأوا في نشر قواتهم على طول برية سيناء .

الوصف المختصر لهذا التطور عبر عنه رئيس وزراء الكيان الصهيوني آنذاك " ليفي اشكول " في ١٦ ايار/مايو ١٩٦٧ اذ جاء في تقرير له قوله " في ضوء المعلومات والطلبات التي تصل الى مصر من سوريا فيما يخص النوايا الاسرائيلية باتخاذ اجراءات صارمة ضد سوريا وفي ضوء الاعلانات الاسرائيلية والتحذيرات التي تلت ذلك وفي ظل الوضع الصعب الذي وجدت مصر نفسها فيه بعد السابع من نيسان عام ١٩٦٧ ، قررت مصر ان لا تقعد مكتوفة الايدي حيال الاوضاع القائمة . . وفي حكم ليفي اشكول ان مصر كانت تنوي ردع اسرائيل عن اصدار تهديدات ضد سوريا . . وكان التوتر وتأزم المواقف قد امتد الى الجبهتين السورية والاردنية .

الاحداث التي ادت الى الحرب اضافة الى النتائج كانت قد جرى بحثها وتحليلها على نطاق واسع ولكن لكي يدرك المرء لماذا نشبت تلك الحرب فليس من الضروري معرفة خلفياتها الدبلوماسية والعسكرية . . فكل ما يحتاجه المرء هي المعرفة الحقيقيةعن الاسرائيليين انفسهم . . في عام ١٩٦٦ كان الاسرائيليون يتعرضوا الى هزات عاطفية وسياسية ومعنوية عنيفة اذ كان هناك اكثر من ٢ . ٣ مليون يهودي وثلاثمائة الف عربي في البلاد ومع بداية عام ١٩٦٦ بدأ الاسرائيليون يفقدون الثقة بانفسهم وسيطرت عليهم روح الكآبة فكان الشك في كل مكان مما ادى الى حالة يأس قوية بين الاسرائيليين وتردد السؤال على السنة معظمهم : ماذا يفعل الناس ؟ وقد بدا ذلك واضحا من كاتب الاغاني " حاييم هيفر " بقوله : " ليس كل شيء يسير بشكل صحيح وليست هناك نقطة من الحظ السعيد ، كل شيء يدعو الى الكآبة وكل واحد حزين . . الاشياء لا تعمل جيدا ولا احد يعرف لماذا . . ! ! " تلك الفترة عاصرها تدهور اقتصادي مخيف في اسرائيل وهبوط حاد جدا في الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة . . اضافة الى الهجرة المعاكسة حيث ترك عشرات الالاف اسرائيل بشكل نهائي . . الثقافة الاشكنازية الاوروبية في اسرائيل كانت مهددة بتدفق اليهود الشرقيين . . المهاجرون من البلاد العربية مما ادى الى توتر اجتماعي مصحوبا بالغضب . . . هذه التطورات عموما ادت الى بروز ازمات عميقة ومؤلمة تتعلق بالهوية اليهودية ويبدو ان وجهة نظر الصهيونية كانت تسير في اتجاهها البعيد عن تلك التطورات . . حيث قال احد زعماء حزب " المباي " الصهيوني " اننا شعب عاطفي " كثيرون استنتجوا بأن المشروع الصهيوني قد فشل كما قالته احدى الصحف العبرية آنذاك .

خلال الاشهر التي سبقت الحرب كان هناك شعور يسود الاسرائيليين . . شعور واسع بأن معظم القيم الاساسية للدولة والتضحيات والوحدة الوطنية قد فقدت معانيها ولم يكن هناك ما يعوضها . . وكان هذا الشعور من اساسيات المعتقدات اليهودية وكان الناس يجادلون كثيرا ولم يكن ذلك الجدل سياسيا بين اليمين واليسار كما هي العادة ولكنه كان غالبا امتحانا سياسيا للحلم الاسرائيلي ذاته . . . كثيرون شعروا ان المجتمع الاسرائيلية كان يتفتت تدريجيا . . الازمة التي سبقت حرب الايام الستة جعلت الاسرائيليين مستسلمين تماما لمصيرهم المنتظر وفي هذا قال وزير الزراعة الاسرائيلي " حاييم جفاتي " في مذكراته انه يشعر بأن اسرائيل كانت على وشك الاختبار الصعب كما لم تكن منذ حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ " كل واحد يفهم ان هذه معركة للموت " وفي مكتب رئيس الوزراء سمع " حاييم جفاتي " ان الاتحاد السوفياتي فيما يبدو قرر ان يذهب الى نهاية الطريق وانه لم

يعد مترددا في تدمير اسرائيل " ولكن لم يكن هناك اي اساس لتقرير كهذا في الحقيقة . . . اسرائيل لم تترك الاشاعات تمر دون ملاحظة . . . الجنود العائدون الى منازلهم في عطلة نهاية الاسبوع تحدثوا عن تدهور المعنويات في الجيش . . وقالوا بأن هناك شائعات بأن اسرائيل غير مستعدة للحرب ولا توجد ثقة بأنهم قادرون على خوض حرب مع عدوهم . . وقد كتب الوزير " حاييم جفاتي " بأن الخوف ليس له قاعدة في الحقيقة ولكن يبدو ان الحرب اصبحت حتمية . وبما ان جفاتي شارك في اجتماع مجلس وزراء اسرائيل حيث قاطع رئيس اركان الجيش الاسرائيلي المجتمعين " اسحق رابين " قائلا : ان الطائرات المصرية الاربعة السوفياتية الصنع قد اخترقت المجال الجوي الاسرائيلي وتمكنت طائرتان منها فيما يبدو تصوير مفاعل ديمونة النووي " الاستعدادات للحرب ذكرت الكثيرون من الاسرائيليين بالمحرقة النازية " فكيف يكون ذلك ؟ " طرحت هذا السؤال امرأة يهودية في رسالة منها الى زميل دراسة لها سابق يعيش في مدينة لوس انجيلوس الامريكية . . واعادت الى الاذهان انه لم تمض خمس وعشرون سنة على الحرب العالمية الثانية وان المسألة تحدث مرة ثانية ؟ وفي رسالة الى الرئيس الامريكي " ليندن جونسون " كتب افرايم إيفرون " الدبلوماسي الاسرائيلي في واشنطن الذي جاء الى البيت الابيض يطلب دعم الولايات المتحدة لكيانه والدموع تسيل على وجنتيه ( طبعا كانت دموع التماسيح ) عند نشوب الحرب قضى الوزير " حاييم جفاتي " الساعات الاولى في ملجأ مع جيرانه وفي اليوم التالي كان كل شيء قد انتهى . . فهو يقول في هذا " كان اعظم يوم في حياتنا وربما كان اعظم يوم في تاريخ الشعب اليهودي . . معظم الاسرائيليين اعتقدوا ان جيش الدفاع الاسرائيلي قد انقذهم من الدمار . . كثيرون وصفوا النصر على العرب بأنه " المعجزة الالهية " وكأنهم قفزوا من الجحيم وانهم ولدوا من جديد في قمة الخلاص . . . كتبت صحيفة يديعوت احرنوت في افتتاحيتها " لقد كانت يدّ الله مع شعبه اسرائيل . . ان مشاعر يوم القيامة قد انتفت وكان التاريخ يبدأ مرة اخرى " قبل بضعة اشهر من الحرب كان موسى دايان وزير الدفاع الاسرائيلي في زيارة لفيتنام وعند عودته من الزيارة قال " الامريكيون يكسبون كل شيء في فيتنام – ما عدا الحرب " فليس بعيدا بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ كان يمكن ان يقال العكس عن الاسرائيليين . . انجازاتهم الوحيدة كانت بطبيعة الحال كسب الحرب لا شيء تم اكتسابه باحتلال المناطق التي سقطت بايدي الاسرائيليين في الحرب والتي انزلقت بعيدا بسبب الخوف الذي نجم عن سكرات النصر . عواطف الاسرائيليين قادتهم الى العمل ضد مصالحهم ، نوع من السلوك ضد المصلحة الوطنية يرجع الفضل فيه غالبا للعرب مما دفع السفير البريطاني بأن يكتب باعجاب كبير الى رؤساءه في لندن " الشيء

الحسن انه كيف يستطيع الاسرائيليون ان يتصرفوا بطريقة افضل كثيرا من العرب " لم يكن هناك في الحقيقة اي تبرير للخوف الذي سيطر على الاسرائيليين قبل الحرب ولا من اجل الشعور بالنشوة التي سادت بعد الحرب والتي تجعل قصة اسرائيل في عام ١٩٦٧ صعبة الفهم .

لقد بدأت مرحلة الركود الاقتصادي الاولى في اسرائيل مع بداية عام ١٩٦٤ وفي عام ١٩٦٦ وصل الاقتصاد الاسرائيلي الى اقصى درجاته ركودا حيث عكس الوضع الاقتصادي في انتقاليته من مرحلة المتطلبات الملحة الى مرحلة الشلل خصوصا في مجال البطالة ولم يكن هذا التحول قد جاء مفاجئا حيث كانت جذوره تنمو عميقة قبل العام ١٩٦٤ ولكن الحملة الانتخابية كانت قد اخفته نوعا قبل الانتخابات . . كان الاف الاسرائيليين يحصلون على ترقيات في وظائفهم ومرتباتهم الشهرية والتي كان معظمها يتآكل في موجة ارتفاع الاسعار المحمومة التي واجهتها البلاد بعد ذلك مباشرة . . لقد كان معدل انفاق العائلة حوالي ٧٣٥ ليرة اسرائيلية شهريا وفي عام ١٩٦٦ ارتفع معدل الانفاق الشهري للعائلة اليهودية الى ٨٢٠ ليرة اسرائيلية .

لهذه الاسباب كان لا بد من الدخول في حرب مع العرب تكون نتائجها توسعية بقدر المستطاع من اجل انفراج الازمات الاقتصادية الحادة التي تواجهها اسرائيل . . فكانت حرب الايام الستة وكانت الهزيمة العربية الثانية في الصراع القائم بين العرب واليهود في فلسطين . . وعلق الكثير من المحللين لاسياسيين الغربيين بأن تلك الحرب قد غيرت وجه الشرق الاوسط . . ونحن مع هذا الرأي بغض النظر عن التسميات التي اطلقها العرب على تلك الحرب ( النكسة – الجولة الثانية في الحرب العربية الاسرائيلية – الكبوة – . . . . الى آخر هذه المسميات ) ولكن علينا ان نعترف بأنها كانت هزيمة عربية نكراء بكل المقاييس، لا زلنا حتى كتابة هذه السطور نعاني من آثارها وفواجعها . . وفعلا لو لم تكن تلك الحرب لما سقط العراق العربي في ايادي الامريكيين والصهاينة ! ! ولولم تكن تلك الحرب اللعينة لما انجر الفلسطينيون لتوقيع اتفاقات اوسلوا التعيسة . . ولو لم تكن تك الحرب لكان العالم العربي في اوضاع افضل من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . . . ولما كانت حوصرت غزة وجوع شعبها الفلسطيني . . . ولما كانت سوريا تتعرض الى مؤامرة كبرى . . ولكن كانت تلك الحرب قد غرست بذور الوعي عند ابناء الامة العربية . . علينا ان لا نقلد النعام في سلوكنا السياسي ازاء تلك الهزيمة الكبرى ، اذ ان من واجبنا ان نبين وندون في سجلات التاريخ ما اصابنا من ويلات وكوارث لتطلع عليها الاجيال القادمة من امتنا . . فهل يجوز ان نستمر في الكذب والخداع على اجيالنا في تسجيل هزائمنا العسكرية والنفسية على انها انتصارات كما

حدث في حرب عام ١٩٦٧ ؟ علينا ان نعترف بهزائمنا وان نعترف بتقصيرنا في فهم خبث ومكر عدونا باعتباره عدوا فريدا في نوعه تقوم حياته على الفساد في الارض والدسائس والمؤامرات .

في نهاية الحرب اصدرت الامم المتحدة القرار ٢٤٢ ودعت الى مفاوضات سلام دائم بين الطرفين والى انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ الا ان اسرائيل لم تستجب لهذا القرار ورفضت الانسحاب من الاراضي العربية حيث كانت اهدافها من الحرب حل ازماتها الاقتصادية بالتوسع في البلاد العربية .

بعد الهزيمة العربية عام ١٩٦٧ بدأت الجماعات المتدينة في اسرائيل بالتحريض على ضم الضفة الغربية ومرتفاعات الجولان واستيطانها . . غير ان عددا من الوزراء الاسرائيليين من بينهم بنحاس ولكمان اران إضافة الى حزب العمل وياكوف شمشون شابيرا من الحزب الوطني الديني ابدوا مخاوفهم إزاء المشكلات الديموغرافية التي من شأنها ان تنشأ بسبب ضم هؤلاء العرب واشار شابيرا ايضا الى ان ضم الضفة الغربية يعطي مصداقية للمزاعم القائلة بأن اسرائيل ليست الا مشروعا استعماريا . . وكان مناحيم بيغن وايغال الون يؤيدان عدم الضم . . واقترح موشيه ديان منح حكم ذاتي لعرب الضفة لكن مناحيم بيغن عارض هذه الخطة رغم انه مال اليها في وقت لاحق . . . كان بيغن يرى ان من الممكن استقدام اعداد كبيرة من اليهود الى اسرائيل للاستيطان في المناطق مع منح العرب حق الاختيار بين الرحيل او ان يكونوا مواطنين في دولة اسرائيل .

اما الموساد الاسرائيلي فقد اقترح اقامة دولة فلسطينية تحت الحماية الاسرائيلية وذلك ورد في تقرير مؤرخ في ١٤ حزيران ١٩٦٧ لكن هذا الاقتراح لم يلق قبولا وتقول بعض المصادر ان موشيه ديان استقبل في صيف ١٩٦٧ وفدا من الاعيان الفلسطينيين واقترح عليهم حكما ذاتيا في الضفة الغربية ولكن الوفد رفض هذا الاقتراح . . وبحلول شهر تموز عام ١٩٦٧ طرح ايغال الون خطته المعروفة باسم " خطة ألون " التي دعت الى احتفاظ اسرائيل باجزاء كبيرة من الضفة الغربية في اي تسوية سلمية وذلك لاسباب استراتيجية لاسرائيل . . فجرى بناء عدد متزايد من المستوطنات مع اتضاح ان الدول العربية لن تقدم على مفاوضة مع اسرائيل . . ثم جاءت قمة الخرطوم في آب وأيلول عام ١٩٦٧ فكانت نقطة انعطاف حاسمة اذ بدا انها تغلق الباب امام اسرائيل لاحتمال اي تفاوض او الاعتراف بها بأي شكل من الاشكال . . لكن لعل قرارات قمة الخرطوم ما كانت عقبة كأداء في الوصول الى السلام ففي عام ١٩٧٠ قيل ان الملك حسين عرض السلام مقابل انسحاب اسرائيلي من الضفة الغربية وعودة الاماكن المقدسة غير ان اسرائيل رفضت هذا الاقتراح رفضا قاطعا .

منذ ان جاء حزب الليكود المعارض للحكم في اسرائيل عام ١٩٧٧ الا واصبح توسيع المستوطنات سياسة رسمية اسرائيلية وظل الليكود في الحكم الى ان ابرم اتفاقيات اوسلو وبجلول عام ٢٠٠٣ بلغ عدد الاسرائيليين المستوطنين في الضفة الغربية وغزة ٢٢٠.٠٠٠ مستوطن إضافة الى ٢٠٠.٠٠٠ استوطنوا في منطقة القدس ومحيطها الذي احتلته اسرائيل عام ١٩٦٧ كما ان ١٥٠٠٠ مستوطن يهودي سكنوا في مرتفعات الجولان السورية التي استولت عليها اسرائيل من سورية .

## حرب الاستنزاف

بعد حرب الأيام الستة شن الرئيس المصري جمال عبد الناصر حرب استنزاف في منطقة قناة السويس . . . وفي اسرائيل توفي رئيس الوزراء ليفي اشكول وحلت محله المتشددة غولدا مائير . . . جرت حرب في مواقع ثابتة بين الجانبين راحت تزداد دموية وتحت ضغط الولايات المتحدة جرى توقيع اتفاق ثاني لوقف اطلاق النار في آب ١٩٧٠ . . اعلن فيه الجانبان رسميا قبولهما قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ . . وتوفي جمال عبد الناصر في نهاية سبتمبر من العام ١٩٧٠ وحل محلة الرئيس محمد انور السادات الذي واصل التقلب بين عرض خطط السلام والتهديد بالحرب واعلن بأن يكون عام ١٩٧٢ عام الحسم . . وكانت اسرائيل على قناعة بتفوقها العسكري ولم تفكر بأن مصر سوف تقوم بمهاجمتها الا بعد ان تعيد بناء جيشها . . . من هنا بدأ السبيل الافضل وهو الانتظار ريثما تقبل الدول العربية الشروط الاسرائيلية .

## حرب اكتوبر ( حرب يوم الغفران بالتسمية الاسرائيلية )

في تشرين الاول عام ١٩٧٣ شنت مصر وسورية حربا جديدة على اسرائيل . . . اجتاز المصريون قناة السويس بعيد ظهر يوم السادس من تشرين الاول (يوم الغفران ) وهو اقدس ايام السنة لدى اليهود . . . وكانت الحكومة الاسرائيلية قد تجاهلت انذارات استخباراتية متكررة لأنها كانت مقتنعة بأن اسلحة اسرائيل تمثل رادعا كافيا في وجه اي مهاجم . . لقد اعلن السادات مرتين عن نيته لتوجيه ضربة لاسرائيل من قبل اعتزامة شن الحرب ، لكن شيئا لم يحدث .